

## تفسير البحر المحيط

@ 82 @ ولأن ذلك في الزمان متقدم على ثواب الآخرة . قال قتادة وابن إسحاق وغيرهما :  
ثواب الدنيا هو الظهور على عدوهم . وقال ابن جريج : هو الظفر والغنيمة . وقال الزمخشري :  
ثواب الدنيا من النصر والغنيمة والعز وطيب الذكر . وقال النقاش : ليس إلا الظفر  
والغلبة ، لأن الغنيمة لم تحل إلا لهذه الأمة . وهذا صحيح ثبت في الحديث الصحيح : ( وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ) وهي إحدى الخمس الذي أوتيتها رسول الله صلى الله عليه وسلم ) ولم يؤتها أحد قبله . وحسن ثواب الآخرة الجنة بلا خلاف قاله : ابن عطية . وقيل :  
الأجر والمغفرة . وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه ، وأنه هو المعتمد به عنده  
{ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّاهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ } وترغيباً في طلب ما  
يحصله من العمل الصالح ومناسبة لآخر الآية . قال علي : من عمل لدنياه أضرباً بآخرته ، ومن  
عمل لآخرته أضرباً بدنياه ، وقد يجمعهما الله تعالى لأقوام . .  
{ وَاللَّاهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } قد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ( الإحسان حين  
سئل عن حقيقته في حديث سؤال جبريل : { إِنْ تَعْبُدُنِي \* وَاللَّاهُ \* كَأَنَّكَ } وفسره  
المفسرون هنا بأحد قولين ، وهو من أحسن ما بينه وبين ربه في لزوم طاعته ، أو من ثبت في  
القتال مع نبيه حتى يقتل أو يغلب . .  
{ الْمُحْسِنِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا } إِنْ تَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ  
كَفَرُوا وَيَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ { الخطاب عام  
يتناول أهل أحد وغيرهم . وما زال الكفار مثابرين على رجوع المؤمنين عن دينهم ، ودوا  
لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء . وودوا لو تكفرون ، لن تنفعكم { وَدَّ كَثِيرٌ  
مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا } .  
وَدَّتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ } وقيل : الخطاب خاص  
بمن كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ) من المؤمنين يوم أحد . فعلى الأول علق على مطلق  
طاعتهم الرد على العقب والانقلاب بالخسران وهذا غاية في التحرز منهم والمجانبة لهم ، فلا  
يطاعون في شيء ولا يشاورون ، لأن ذلك يستجر إلى موافتهم ، ويكون الذين كفروا عاماً .  
وعلى القول الثاني : يكون الذين كفروا خاصاً . فقال عليّ وابن عباس : هم المنافقون  
قالوا للمؤمنين لما رجعوا من أحد : لو كان نبياً ما أصابه الذي أصابه فارجعوا إلى  
إخوانكم . وقال ابن جريج : هم اليهود والنصارى وقاله : الحسن . وعنه : إن تستنصحو  
اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لأنهم كانوا يستغونهم ، ويوقعون لهم الشبه ، ويقولون :

لو كان لكم نبياً حقاً لما غلب ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم ، وإنما هو رجل حاله كحال غيره من الناس ، يوماً له ويوماً عليه . .

وقال السدي : هم أبو سفيان وأصحابه من عباد الأوثان . وقال الحسن أيضاً : هو كعب وأصحابه . وقال أبو بكر الرّازي : فيها دلالة على النهي عن طاعة الكفار مطلقاً ، لكن أجمع المسلمون على أنه لا يندرج تحته من وثقنا بنصحه منهم ، كالجاسوس والخرّيت الذي يهدي إلى الطريق ، وصاحب الرأي ذي المصلحة الظاهرة ، والزوجة تشير بصواب . والردة هنا على العقب كناية عن الرجوع إلى الكفر . وخاسرين : أي مغبونين ببيعكم الآخرة . .

{ بَلِ اللّٰهُمَّ مَوْءِدُكُمْ } بل : لتترك الكلام الأول من غير إبطال وأخذ في كلام غيره . والمعنى : ليس الكفار أولياء فيطاعوا في شيء ، بل ا□ مولاكم . وقرأ الحسن : بنصب الجلالة على معنى : بل أطيعوا ا□ ، لأن الشرط السابق يتضمن معنى النهي ، أي لا تطيعوا الكفار فتكفروا ، بل أطيعوا ا□ مولاكم . .

{ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ } لما ذكر أنه مولاهم ، أي ناصرهم ذكر أنّّه خير ناصر لا يحتاج معه إلى نصره أحد ، ولا ولايته . وفي هذا